خطبة: إماطة الأذى وفضل الشكور

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

خطبة: إماطة الأذى وفضل الشكور

معاشر المؤمنين

نقف اليوم مع حديث جليل لفضل عملٍ قليل في جهده عظيم في فضله ، لنتّدبر مافيه من دروس بليغة وعبرٍ جليلة تحّقق إيماننا و ترسّخ فقهنا لديننا .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ وجَد غُصنَ شَوكٍ على الطريق فأخَّره، فشَكر الله له؛ فغَفَر له))؛ (متفق عليه)،

ولنتدبّر عباد الله في دروس هذا الحديث ،التي أعلاها شأنا وأزكاها فقها وأعطمها قدراً :

العلم والإيمان بأن الله تعالى شكورٌ لعباده كما وصف نفسه جلّ في علاه وقال -عز من قائل-: (لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) [فاطر:30]،

ومعنى الشكور الذي يجازي على القليل من العمل بالكثير من الثواب

وقال السعدي -رحمه الله-: “الشكور لا يضيع أجر من أحسن عملا, بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة بغير عدٍ ولا حساب، ومن شكرِهِ أنه يجزي بالحسنة عشرةَ أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .."

فما أكرم ربِّنِا وما أجوده ، وماأعظم عطائه وماأجزل إحسانه جّل في علاه . والواجب أن يكون المسلم شاكرا لربه الشكور ، كما قال جلّ وعلا " اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ ١١٣]

وشكر العبد لربه : أن يقِّر بفضله فلا يجحده

وأن يذكره فلاينساه ، وان يطيعه في نعمه فلا يعصيه .

أما الدرس الثاني : فالواجب على المسلم ألا يحتقر أي عمل مهما كان في عينه صغيرا ، فميزان العطاء والثواب عند الكريم عزّوجل ، والمرء لايدري أي حسنةٍ تلك التي ترجحُ كفةَ حسناته يوم القيامة ، والله جلّ وعلا يقول " فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره "

وعن أَبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: "لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا، وَلَو أنْ تَلقَى أخَاكَ بوجهٍ طليقٍ " رواه مسلم.

وشعب الإيمان وأعمالهُ كثيرة ومتنوعة يغترف منها المسلم ماشاء واستطاع .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإيمانُ بضع وسبعون - أو بضع وستون - شُعبةً، فأفضلُها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان))؛ (مسلم)

معاشر المؤمنين

من الدروس الهامة في هذا الحديث عظمُ فضلِ كفِّ الأذى عن المسلمين ، فهذا الرجلُ أزاح غصنا عن طريق المسلمين لايؤذيهم فنال هذا الفضل العظيم ،

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((لقد رأيتُ رجلًا يتقلَّبُ في الجنة في شجرة قطعَها من ظَهْرِ الطريق كانت تؤذي الناسَ))؛ (مسلم)،

وهذا أمر ٌ في غاية الأهمية ، يغفل البعض عنه حين ينصرف همّهُ للعبادات الفردية ، من نوافل العبادات والقربات ، ويغفل عمّا هو أخطرُ شأنا وأعظمُ حقا وأثقلُ في كفتي الحسنات والسيئات ،

وهو أداءُ حقوقِ العباد في أنفسهم أموالهم وأعراضهم، بل ومراعاةُ مشاعرهم وخواطرهم ، وإستمعوا لهذا الموقف -عباد الله- لنفقه ديننا حق الفقه في مراتب الأعمال ، ولكي لانفرط في الأهم على حساب مانراه نحن بفهمنا مهما ،،

مرّ أبو سفيان على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: "ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها،  فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟

فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك ، فأتاهم فقال: يا إخوتاه، أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي"

فتأملوا كيف وعظ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أبابكر -أفضل الناس بعد الأنبياء - لمراعاة مشاعر إخوانه وخواطرهم ،،

وفقنا الله للبّر والتقوى وللعمل الذي يرضى ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم قاستغفره إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

إذا كانت إماطةُ غصنِ شوكٍ عن طريق المسلمين نال بها ذاك الرجلُ شكرَ الله تعالى له ، فكيف بمن يدفع الأذى والظلمَ والسوءَ عن أعراض المسلمين ، وينتصرَ للمظلوم ويدافع عن المحسن ؟ أليس ذلك العمل أعظمُ شأنا وأثقلُ في الميزان عباد الله ؟

ثم إن عالما جليلا تأمّل في هذا الحديث وتساءل هل هذا الفعلُ - إماطة الأذى عن الطريق - بظاهره وعلى بساطته هو علةُ هذا الكرم الربّاني ؟ فشرح الله صدره لسّر ذلك الفضل وحقيقته ، وهو حب الخير للمسلمين ، والرحمةُ التي أوجدها الله في قلب ذاك الرحل وإهتمامهُ بهمِّ المسلمين ومصلحتهم ، وهذا هو الفقه والفهم الذي يغوص في المعاني ومقاصد الشرع الحنيف ولايقف عند المظاهر والظواهر ،

ويضيف هذا العالم ويقول " ولقد عرفت رجلا فيه هذه الصفةُ الجليلة والخصلةُ الكريمة ، رقة قلبه على إخوانه المسلمين ، وقف نهار يوم النحر في الحج والناس في زحام شديد عند الجمرات ، كل إنسانٍ همّه نفسهُ ،

فرفع يديه لله تعالى يدعو ويقول "

اللهم خفّف على المسلمين الزحام ويسّر لهم حجهم وتقبل منهم " ،،

يفول هذا العالم : فبذلك القلب الرحيم ذو المودة الصادقة للمسلمين تتنزل الرحمات وتحل البركات من ربّ البريات .